لا أبالي بكم وبكيدكم ولا أخاف معرتكم وإن تعاونتم علي وأنتم الأقوياء الشداد فكيف تضرني آلهتكم وما هي إلا جماد لا يبصر ولا يسمع وكيف تنتقم مني إذا نلت منها وصددت عن عبادتها بأن تخبلني وتذهب بعقلي ۝ ولما ذكر توكله على الله وثقته بحفظه وكلاءته من كيدهم وصفه بما يوجب التوكل عليه من اشتمال ربوبيته عليه وعليهم ومن كون كل دابة في قبضته وملكته وتحت قهره وسلطانه · الأخذ بنواصيها تمثيل لذلك · إن ربي على صراط مستقيم يريد أنه على طريق الحق والعدل في ملكه لا يفوته ظالم ولا يضيع عنده معتصم به ۝ فإن تولوا
فإن تتولوا فإن قلت الإبلاغ كان قبل التولي فكيف وقع جزاء للشرط قلت معناه فإن تتولوا لم أعاتب على تفريط في الإبلاغ وكنتم محجوجين بأن ما أرسلت به إليكم قد بلغكم فأبيتم إلا تكذيب الرسالة وعداوة الرسول · ويستخلف كلام مستأنف يريد ويهلككم الله ويجيء بقوم آخرين يخلفونكم في دياركم وأموالكم · ولا تضرونه بتوليكم شيئا من ضرر قط لأنه لا يجوز عليه المضار والمنافع وإنما تضرون أنفسكم وفي قراءة عبد الله ويستخلف بالجزم وكذلك ولا تضروه عطفا على محل فقد أبلغتكم والمعنى إن تتولوا يعذرني ويستخلف قوما غيركم ولا تضروا إلا أنفسكم · على كل شيء حفيظ أي رقيب عليه مهيمن فما تخفى عليه أعمالكم ولا يغفل عن مؤاخذتكم أو من كان رقيبا على الأشياء كلها حافظا لها وكانت مفتقرة إلى حفظه من المضار لم يضر مثله مثلكم ۝ والذين آمنوا معه قيل كانوا أربعة آلاف فإن قلت ما معنى تكرير التنجية قلت ذكر أولا أنه حين أهلك عدوهم نجاهم

ثم قال

١٥١

ثم قال ونجيناهم من عذاب غليظ على معنى وكانت تلك التنجية من عذاب غليظ وذلك أن الله عز وجل بعث عليهم السموم فكانت تدخل في أنوفهم وتخرج من أدبارهم فتقطعهم عضوا عضوا وقيل أراد بالثانية التنجية من عذاب الآخرة ولا عذاب أغلظ منه وأشد · وقوله برحمة منا يريد بسبب الإيمان الذي أنعمنا عليهم بالتوفيق له ۝ وتلك عاد إشارة إلى قبورهم وآثارهم كأنه قال سيحوا في الأرض فانظروا إليها واعتبروا · ثم استأنف وصف أحوالهم فقال جحدوا بآيات ربهم وعصوا رسله لأنهم إذا عصوا رسولهم فقد عصوا جميع رسل الله لا نفرق بين أحد من رسله وقيل لم يرسل إليهم إلا هود وحده · كل جبار عنيد يريد رؤساءهم وكبراءهم ودعاتهم إلى تكذيب الرسل ومعنى اتباع أمرهم طاعتهم ۝ ولما كانوا تابعين لهم دون الرسل جعلت اللعنة تابعة لهم في الدارين تكبهم على وجوههم في عذاب الله · ألا وتكرارها مع النداء على كفرهم والدعاء عليهم تهويل لأمرهم وتفظيع له وبعث على الاعتبار بهم والحذر من مثل حالهم فإن قلت بعدا دعاء بالهلاك فما معنى الدعاء به عليهم بعد هلاكهم قلت معناه الدلالة على أنهم كانوا مستأهلين له ألا ترى إلى قوله إخوتي لا تبعدوا أبدا وبلى والله قد بعدوا · قوم هود عطف بيان لعاد فإن قلت ما الفائدة في هذا البيان والبيان حاصل بدونه قلت الفائدة فيه أن يوسموا بهذه الدعوة وسما ويجعل فيهم أمرا محققا لا شبهة فيه بوجه من الوجوه ولأن عادا عادان الأولى القديمة التي هي قوم هود والقصة فيهم والأخرى إرم ۝ هو أنشأكم من الأرض لم ينشئكم منها

Copy[...]ng [...]iversity